

فقيـــد العربيـــة
الأستـــاذ عبـــاس حســـن
(1906 – 1979)

للدكتور عدنان الخطيب

(عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

نَعَى مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي (أبريل سنة 1979)، إلى علماء العربية ورجالها، **الأستاذ عباس حسن مصطفى، عضو المجمع والأستاذ السابق بدار العلوم**؛ اختَطَفَه الموت هو في أوج نشاطه الجسمي وقمة عطائه الفكري، لم ينقطع يوماً عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية، والأخيرة منها كانت قبل وفاته بأسابيع قليلة، كما أنه لم

يتغيَّب عن شهود اجتماعات اللجان المجمعية المتخصصة، وآخرها – كما نُمِي إليّ – كان قبل بضعة أيام من لقائه وجه ربه الكريم.

كان الفقيد، رَحمه الله، **من أركان الدفاع عن لغة القرآن، الذائدين عن الفصحى وسلامتها**؛ كما كان في طليعة المنافحين عن قواعد النحو الأصيلة، ومِنْ أصلَبهم عوداً في ردّ هجمات المتخفّفين منها، وشطحات المستهترين بها؛ لا يبالي بحُجَجهم ولا يقيم وزناً لذرائعهم، ولو أدى الأمر به إلى شيء من اللَّدَد.

كان، رحمه الله، من أثبت علماء العربية جناناً في الدفاع عن قدسيّة المتون – وقد آمن بها– ونَذَرَ نفسه لخدمتها، وتجديد عرضها على من يطلبها؛ شديد الكُرْه للنظريات المستحدَثة باسم "**علم اللسانيات**"، يدحض آراء أصحابها ومحاولاتهم تلبيسَها باللغة العربية، ولا يُحجِم أحياناً عن وصف ادعاءات بعضهم الغيرةَ على العربية **بأنها سُتور للتغريب والتهديم**.

دخل الفقيد الساحة، والمعركة محتدمة بين أنصار العربية وخصومها، وكان مع أهل اليمين، وسلاحه، ككثير من المقاتلة، إيمانٌ بالعربية لا حدّ له، وعلمٌ بأصولها وقواعدها قلَّ نظيرُه، وخبرةُ أيامٍ خلت، أمضاها في نقل هذا العلم إلى طالبيه ما استطاع، وغرْسِ ذلك الإيمان في نفوس طلابه ما تقبّلوه.

واختير فقيدنا بأخرة، **ليكون مع النخبة من علماء العربية**، يعملون ليل نهار في خدمة اللغة العربية ودفعها لتُسايرَ ركب الحضارة العالمية المتسارعة في خطواتها، والمتسابقة مع الزمن في اندفاعاتها.

وكان الفقيد في مجمع اللغة العربية مع طائفة قال الله عز وجل فيها: (مِنَ المؤمنيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا اللهَ عَليْه فمنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَه ومِنْهُم مَن يْنتظرُ وما بَدّلوا تَبْديلاً).

* * *

زميل جديد:

في يوم من أيام سنة 1961، دخلتُ لأول مرة قاعة المؤتمرات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ وقادتني خطواتي الوئيدة إلى الصف المواجه لمقعد الرئيس، واخترتُ مقعداً منحرفاً، يستطيع مَن يجلس عليه أن لا يَدَع حركة في داخل القاعة أو خارجها تفوتُه. وتتالت جلسات المؤتمر، وقد ألِفْتُ المقعد عينه، أسْرع إليه كلّما كان فارغاً، أو إلى أقرب مقعد يُجاورُه.

وفي نهاية الستينات دخلت قاعة المؤتمر وجلست على المقعد إيّاه، وأخذتُ أتطلع نحو الزملاء وهم يدخلون القاعة، **أنتظر صديقاً منهم يجاورني فأنعم بجواره**؛ غير أني فوجئت بعضو جديد، لم يسبق لعيني أن وقعت عليه، يسير بخطى ثابتة نحو المقعد المجاور ويحتلّه، دون أن ترفّ عينه نحو مقعد آخر. كان ربعة بين الرجال، يميل إلى القِصَر، وما بقى من شعر رأسه قد اشتعل شيباً، وفي وجهه شيء من جهومة، وتقاطيعُه تنمّ عن جدّ تُخالطه وحشة. وكتمتُ ما شعرتُ به، وأخذتُ أتظاهر بالبحث عن شيء بين أوراقي؛ ولم ألبث أن أدرتُ وجهي يمنة، فإذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفرج عن ابتسامة، وبرأسه ينحني قليلاً وهو يتمتم بكلمات لم أفهمها، فَقَدَّرْتُ أنه يحيّيني ويذكر اسمه، ووجدت نفسي أردّ تحيّته بمثلها؛ ثم رُفِعت الجلسة دون أن نتبادل شيئاً ما.

وفي جلسة اليوم التالي كان جارُ الأمس جاري، ودارت مناقشات حامية حول بحثٍ أُلقيَ وفيه دعوة إلى شيء من التحرّر في قواعد اللغة، تسهيلاً لتعميم الفصحى بين الناس. وأُعطِيَتْ الكلمةُ للزميل الذي يجاورني، فوقف يرتجل كلمة واضحة، هادئة، متسلسلة الأفكار، ينكر فيها دعواتٍ تُرَدَّدُ بين حين وآخر باسم تسهيل تعليم الفصحى، مستنكراً التوجّه بأمثالها إلى مؤتمرٍ ما انعقَدَ إلا لخدمة لغة القرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة، داعياً إلى رفض كل دعوةٍ ظاهِرُها خدمة اللغة، وما هي في الحقيقة إلا من مَعاول هدمها. ورأيتُ نفسي أشارك المؤتمرين، الذين أعلنوا تأييدهم لتعليق الزميل، بالتصفيق. وما لبث الزميل أن جلس والتفت نحوي وهو يبتسم ابتسامة أَشْرَقَ بها وجهه؛ **فبدا لي أنه أصبح مطمئناً إلى جواري.**

كان ذلك الزميل عالِم النحو الكبير عباس حسن، الذي افتقدناه بالأمس القريب، وجاءني نعيَّه مصادفة[1]، رحمه الله وأجزل ثوابه.

لقد تتالت المؤتمرات، وتعدّدت فيها الجلسات، وحافَظَ كلٌّ منا على مقعده. حتى في اللقاءات خارج المجمع، كان الفقيد كثيراً ما **يأنس بجواري ويسعى إليه.** وأصبحنا صديقين نتبادل الأحاديث المتعلقة بشؤون المؤتمر وبرامج جلساته ورحلاته، وفي شؤون كثيرة أخرى.

* * *

(1) نعاه لي الزميل الأستاذ محمد عبدالغني حسن، وكان يجلس إلى جانبي، خلال مهرجان مؤرخ الشام، الحافظ ابن عساكر.

نبذة عن حياة الفقيد وآثاره

فتى أزهري "يَتَدرْعَم":

وُلد عباس حسن سن 1906، وكانت مصر في ضرام حركتها الفكرية، والوعيُ اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قد تيقّظ، وأخذ كثيرون ينادون بالعمل لتصبح "**الفصحى**"، لغةُ العلم والثقافة، لغة سهلة متطورة تفهمها وتتقنها العامة فضلاً عن الخاصة.



(الفقيد في مؤتمر 1978 بين الدكتورين محمد أحمد سليمان وعدنان الخطيب)

والتحق الفتى عباس، كالمئات من لِداته، بالجامع الأزهر، يَحفظ القرآن ويتلقى مبادئ العلوم العربية، على الطريقة الأزهرية المتوارَثة. شَعَر عبّاس بحبّ للعربية وعلومها يَعْلَق قلبه، **فأخذ يفكّر في الانتقال إلى "دار العلوم"**، وقد شاع بين أقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية، وحتى على صفحات الجرائد، من أن تنظيماً

للدراسة في دار العلوم قد **أقيمَ على أسس جديدة جامعية**، تضاهي الأسس التي يقوم عليها تدريس العلوم العصرية.

ما لبث عباس – على حد قول **العالم الأديب الدكتور أحمد عَمّار** – أن "تملّكته نزعة الهجرة من القديم إلى الجديد، فَتَحوَّل من الأزهر إلى دار العلوم؛ وإذا به يحرز قصب السبق في اللغة العربية، ويستأثر بالجائزة المرصودة لها، على مدى أعوام دراسته في دار العلوم، ما أخلفته ولا فاتته عاماً"[1].

وأتمّ عباس تحصيله في دار العلوم، وعمل معلماً في المدارس الحكومية، متنقلاً بين ثانوياتها، واسمه يزداد لمعاناً بين معلمي العربية، **مما ساعد على ترشيحه ليكون مدرّساً في "دار العلوم"** نفسها؛ حتى إذا ما تحوَّلَت الدار إلى كلّية من كليات جامعة القاهرة، كان عباس حسن أحد أساتذة العربية فيها، ومن ثم رئيساً لقسم النحو والصرف والعروض، إلى أن بلغ سنّ الإحالة على المعاش.

النحو الوافي:

اشتهر الفقيد بدراساته النحوية المتعمقة[2]، وقد تَوَّجَها أخيراً بكتابه الضخم "النحو الوافي"[3] وهو في أربعة أجزاء، تستوعب جميع الأبواب النحوية والصرفية، مع رَبْطها بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، وقد أعدَّه **– على حد قوله–** إعداداً محكماً يناسب طلبة الدراسات "النحوية والصرفية"، ومناهج هذه الدراسات بالجامعات، ثم ذَيَّلَه بتعقيبات وافية وشروح ضافية، تكون مرجعاً وافياً للأساتذة

---

(1) انظر الخطاب المجمعي في استقبال عباس حسن. ص168 من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة 1967.

(2) من هذه الدراسات كتاب "رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية" وكتاب "اللغة والنحو بين القديم والحديث".

(3) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر، وصدرت طبعته الرابعة سنة 1971.

والعلماء والمتخصصين، غير مُغْفِل الضوابط والأحكام التي قرَّرَتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية.

قدم الفقيد لكتابه "النحو الوافي" بمقدمة هامة بين فيها قيمة علم النحو في ذاته، وأثره في بقية علوم العربية؛ فهو دعامتها وقانونها الأعلى، ترجع إليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها؛ كما ضَمَّن هذه المقدمة "**دستوراً**" ملزماً نفسه باعتماده في التأليف، موضحاً خطته في تجميع مواد الكتاب، عارضاً تاريخ النحو منذ نشأته، **وللشوائب التي داخلته ثم "نَمَتْ على مرّ الليالي، وتغلغلت برعاية الصروف، وغفلة الحراس، فشَوَّهت جماله، وأضعفت شأنه، وانتهت به إلى ما نرى"**[1].

وشرح الفقيد الغرض الذي رمى إليه من تأليف الكتاب، وقد استعان "**بخبرة طويلة ناجعة، وتجربة صادقة في تَعَلُّم النحو**، طالباً مستوعباً، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدرّساً، فأستاذاً ورئيساً لقسم النحو والصرف والعروض بكلية "دار العلوم" بجامعة القاهرة، سنوات طوالاً"[2].

ثم أوضح "**الدستور**" الذي أقام عليه الكتاب، وخلاصته في المواد التالية:

أولاً- تجميع مادة النحو كلّه، وما يتّصل به من الصرف، في كتاب واحد ذي أربعة أجزاء، في كل منها قسمان: قسم موجز يناسب طلاب الجامعات غاية المناسبة، مذيّل بقسم مفصّل يلائم الأساتذة والمتخصصين أكمل الملاءمة وأتَمَّها.

ثانياً- العناية بلغة الكتاب وضوحاً وإشراقاً وإحكاماً واسترسالاً.

---

(1) انظر ص4 من النحو الوافي.

(2) انظر ص5 من مقدمة الكتاب.

ثالثاً– اختيار الأمثلة ناصعة، بارعة في أداء مهمّتها.

رابعاً– الفرار من العلل الزائفة، وتعدُّد الآراء الضارّة في المسألة الواحدة.

خامساً– تدوين أسماء المَراجع في المسائل التي تتطلّب الرجوع إليها، استجلاء للحقيقة أو إزالة للوهم.

سادساً– عدم التزام طريقة تربوية معينة؛ فقد تكون الطريقة "استنباطيّة" أو "إلقائية"، وقد تكون "حواراً" حسب ما يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضوع.

سابعاً– تسجيل أبواب النحو مرتبة ترتيب "ابن مالك في ألفيَّته" لشيوعه ومزاياه التي تلائم العصر.

ثامناً– توثيق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودها.

وختم الفقيد مقدمته بقوله: "واللهَ أرجو مخلصاً أن يجعل الكتاب نافعاً لغة القرآن، عوناً لطلاّبها، محققاً الغاية النبيلة التي دعت لتأليفه، والقصد الكريم من إعداده"[1].

عباس حسن ناقداً:

لم يكن عباس حسن شاعراً، ولكنه كان عروضيّاً ناقداً؛ كان شديد التذوّق للشعر، قديمِهِ ومُعاصِرِه؛ وكان في تذوّقه هذا، **دقيق الملاحظة عميقها، مرهف الشعور، ذا حساسية فنّيّة تكشف مواطن الجمال والخيال الرائع**؛ ساعَدَه على ذلك ذوقٌ بلاغيّ نَمّاه وأصَّلَه فيه الاطلاع الواسع على الأدب العربي، والمعرفة الكاملة بعلوم العربية وأساليبها البلاغية.

---

(1) انظر ص 11 من المقدمة.

أقام عباس حسن للنقد الأدبي **منهجاً علمياً**، كما أقامه في أبحاثه اللغوية والنحوية. لقد كان، مثلاً، من أشدّ المعجَبين بأحمد شوقي، من الشعراء المعاصرين، وعندما أقام موازنة بينه وبين المتنبي، كبير شعراء العربية الإسلاميين في كتابه عنهما، كان حُكمُه في القمّة من الإنصاف. لذا رأيناه – كما يقول الأديب الكبير الدكتور أحمد عمّار– على فرط إعجابه بشوقي: "قد نأى بحبّه إياه عن أن يكون باعثَ محاباة، كما لم يَضِنّ على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلّى وأجاد ..."[1].

قارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبي والخيال عند شوقي، وبين المعاني لدى كل منهما، مستشهداً بشعر منتقى من ديوانيهما، ثم ختم مقارنته بقوله:

"ومن طرائفه – شوقي– الساحرة أندلسيّته النونيّة التي يُعارض بها نونيّة ابن زيدون، والتي أَطلَقَ فيها خياله، يبتدع ويبتكر ما شاءت له القدرة والحرية والبراعة التي أغْرَتْه بالجموح حينا؛ وبهذه المناسبة نقول: إن خيال شوقي بادٍ في مختلف قصائده، شأن الذين أتيحت لهم ثقافته وسياحاته ومُتَعُه ووسائلُ حياته؛ وقد يتجاوز خيالُه حد الفَراهة المحمود إلى حدّ الجموح. وقد يموج الخيال في قصائده ويجول ويمرح، وقد يجمح؛ وشوقي في خياله الهادئ أو الجامع خيرٌ من المتنبي وأقدر، فكيف به في الخيال الفارِهِ النشيط"[2].

الفقيد في مجمع اللغة العربية:

في سنة 1965 شَغَر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقعد كان يحتلُّه المرحوم علي بدوي، **أحد كبار أساتذة القانون اللامعين**؛ وفي جلسة المجمع

---

(1) انظر الخطاب المشار إليه سابقاً.

(2) نبذة منقولة من كتاب "دفاع عن شعراء" لتوفيق الفكيكي. بيروت 1975.

المنعقدة بتاريخ 28 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1966 تمّ انتخاب الأستاذ عباس حسن، أحد كبار علماء اللغة العربية المتخصصين بالنحو، ليحتلّ المقعد الخالي في المجمع.

وعَقَد المجمع بتاريخ 25 من ذي الحجة سنة 1386هـ، الموافق 6 من آذار (مارس) 1967م، جلسة خصصها لاستقبال الأعضاء المنتَخَبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه؛ وكان أولهم مؤرخاً، وثانيهم قانونياً، وأما الثالث فكان نحوياً؛ لذا كانت من أطراف جلسات الاستقبال المجمعية، **لِمَا جمعته من أصناف الرجال المتباينة بضائعهم**، إذ كانت بضاعة الأول هي: الإنسان والمجتمعات، بينما بضاعة الثاني: النظام والدول، وأما ثالثهم فبضاعته: الحروف والكلمات.

ووقف الدكتور أحمد عمار يستقبل صديقه الزميل الجديد عباس حسن؛ فلم يجد بُدَّاً من أن يرفه عن زملائه، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ القانون، بالتعريض بعلماء النحو، **ذاكراً بعض المُلَح المرويّة عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم**، مجتزئاً من معابثاته مع صديقه عباس بمُلْحَة "تجلوه فقيهاً نحوياً، قد ملك عليه النحو أوتار حسه، وملأ عليه أقطار نفسه.

قلتُ له يوماً في إحدى ندواتنا الأدبية التي نعقدها في أمسية محددة من كل أسبوع: ما أنا من رجال النحو، وإنما شأني معك شأن ذلك الأعرابي الذي قال:

ولستُ بِنَحْوِيٍّ يلوك لسانُه ولكنْ سَليقيٌّ أقولُ فأعربُ

فقال: يلوك لسانُه أم يلوك لسانَه؟ فَلُذْتُ بالصمت إيثاراً للسلامة، وخشية التورّط فيما أُقَصِّر عن المباراة فيه"[1].

(1) انظر ص168 من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة 1967.

على أن الدكتور عمّار، وهو يتحدّث عما يَسْتَشْعِر به الناس من ثقل في النحو، وعمّا تحفل به الكتب من **أفاعيل للنحاة هي بأفاعيل الحواة أشبه وأشكل**، استطاع، وهو العالم الأريب، أن ينتزع من زملائه بعض ما بثَّه فيهم رهبةً من أفاعيل رجال النحو، وهو يقول: " .. وعالِمُنا النحوي عباس حسن، وإن كان يحلو له في هزله أن يصطنع بعض تلك الأفاعيل، فإنه في **جِدّه لشدّ ما يستكره ويستنكر كلّ ما يعتور النحو من حَيَلْ مستَثْقَلات، وتقديرات لخبايا النيّات، وإرجاف بخفايا المضمرات**؛ بل أن حبّه للنحو حبّاً جمّاً، وتدلّهه به مستهاماً به صباً، واستيقانه أنه من أجلّ علوم اللغة نفعاً وجدوى، كل ذلك لم يثنه عن أن يشنّها حملاتِ صدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارَف المعايب ومتناقَل المثالب"[1].

واستشهد الدكتور عَمّار بما جاء في حملات صديقه على من يُلْصِق بالنحو ما هو منه براء، وعلى الذين يفتعلون المُلَح للتنذْر والارتزاق. وأتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب "الحيوان"، للجاحظ، مستنكراً، "وهي أن معترضاً قال للأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها؟ وما بالُنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما لك تُقَدِّم بعض العويص وتؤخِّر بعض المفهوم؟ فأجاب قائلاً: **أنا رجل لم أضَعْ كُتُبي ابتغاء وجه الله ولا زلفى إليه**، فليست من كتب الدين، ولو وضعتُها على النحو الذي تريدونه، لَقَلَّتْ حاجة الناس إلى السؤال عما لا يفهمونه منها، وأنا غايتي الكسب، فوضعتُ بعضها مفهوماً لتَدْعُوَهم حلاوةُ ما فهموه إلى التماس فَهْمِ ما لم يفهموا .."[2].

---

(1) انظر المصدر السابق.

(2) انظر المصدر السابق.

وعندما قام الأستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأْسِ علوم اللغة، وعن سمعة النحاة الذين جَمَعوا اللغة وصانوها، ورفعوا صَرْحَها شامخاً ركيناً، كما قال أحد كبار الفقهاء، أثنى على مجمع اللغة العربية الذي يستقبله اليوم، فقد "**استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته، أن ينتزع الإعجاب من أهل النصفة والاعتدال، وإن مارَى في الإنصاف والتقدير بعض زنادقة اللغة**، لِهَوىً مدخول أو حِقد كامن، أو جهالة بقدر اللغة وأهلها". ثم خاطبَ عباس حسن زملاءه طالباً منهم التأسي بالنحاة قائلاً: "فلا يبتئسْ علماؤنا بما كان ويكون **من خوارج هذه الأيام**، فتلك عرفناها من قرنائهم في مختلف الأجيال[1].

صراع داخل الصف:

لا يحْسَبَنّ الذين يقرأون مقرّرات مؤتمرات مجمع اللغة العربية أن إقرارها **كان سهلاً هيّناً**، فكم من حوار امتدّ زمناً حول قاعدة لغوية أو حول مدى التقيّد بها، وكم من مناقشة حادّة جرت حول إثبات كلمة أو حول حذفها، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع حتى استطاع اتخاذ قرار في مسألة من مسائل اللغة، وكم من الوقت استغرقه إقرارُ أو رفضُ مقترَح عُرِض على مؤتمر المجمع؟!

لعل عباس حسن، يوم دخل مجمع اللغة العربية، كان يعتقد بأن عناءه في خدمة لغة القرآن سيَخِفّ عما كان قبل دخوله، فقد أصبح من النخبة من علماء العربية العاملين على خدمتها ودفعها لتساير ركب الحضارة. ولكنه لم يلبث **أن وجد نفسه وحيداً** أمام أعضاء مِنْ دَأبِهِم التحرّش بالنحو والنحويين، شأن القدامى من العلماء، ومنهم من يجاهر بكُرْهِه للمُتون، ولا يقيم وزناً لآراء علماء عاشوا من مئات السنين، إذا كانت آراؤهم لم تَعُدْ تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه؛ ولعلَّه،

---

(1) انظر ص 175 من المصدر السابق.

رَحمَه الله، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهم من غلاة الغيارى على العربية يوم أنكروا عليه القول بـ(تحديث) اللغة لتساير العصر الحديث، وهو لا يدري ماذا ينتقص عن شأن **(علم الحديث)** إذا كان للتحديث أكثر من معنى في المعجم[1]**!**

التزم فقيدنا في مجمع اللغة بخطٍّ اختَطَّه لنفسه، غيرَ مبالٍ بموقعه بين علماء العربية؛ فبينما **تراه في أقصى يمين هؤلاء مرات عديدة، تراه أحياناً في أقصى يسار أولئك؛** وليس لك أن تعجب، لأن الفقيد ألْزَمَ نفسه بالمتون التي حفظها، وبالقواعد التي قال بها علماء اللغة، والنحويون بخاصة، تلك القواعد التي آمنَ بها أسلوباً وحيداً للحفاظ على اللغة العربية وإنمائها.

وعندما اختلف رأي المجمعّيين حول إجازة إدخال لفظه "**مناورة**" في المعجم على أحد الوجهين التاليين:

الأول– إن من معاني "المناورة": الدهاء، فمن حقها أن تثبت في المعجم في مادة **(ن و ر)** التي تحمل معنى الخداع والحيلة.

الثاني– إن لفظ "مناورة" معرب، ومنقول بدلالتيه الحربية والسياسية المجازيتين، ومن الواجب أن يدخل في المعجم في مادة **(م ن ا)**.

وقف الفقيد مع أصحاب الرأي الأول، ليعلن أن وزن "المفاعلة" وزن أصيل شائع في العربية مثل: المداورة والمراوغة والمشاورة والمحاورة، وليس في قواعد العربية ونصوصها ما يمنع من أن تدخل الكلمة في مادة (ن و ر) كما تدخل الكلمات المشابهة في مواد (د و ر، و ر و غ، و ش و ر، و ح و ر) فهي مثلهن

(1) انظر وقائع مؤتمر 1979 في ص 134 من مجلة المجمع الأردني عدد3.

عربية، وإن لم تَرِدْ في المعجمات؛ وكأنه يقول **بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهاء، أما معانيها الحديثة فهي من قبيل المجاز المستحدث**[1].

وعُرِضَت على المؤتمر، في دورته الأخيرة، كلمة **(التطبيع)** بمعنى **(جعلها طبيعية)**، كما تردَّدَتْ على صفحات الجرائد وعلى ألسنة رجال السياسة، فكان الفقيد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنع من إجازة الكلمة بالمعنى المذكور، طبقاً للضوابط اللغوية، ولكن هذا المعنى السياسي الجديد **رَفَضَتْه الأكثرية عند إعلان التصويت عليه**[2].

وعندما وقف بعض المتشددين من المجمعيين ينتقد استخدام الكُتّاب والصحافيين لفظة **(تواجَدَ)** بمعنًى لا تُقِرُّه معجمات اللغة ثار الفقيد **مبرئاً العربية من الجمود الذي توصم به**، وقائلاً: إن العربية لا تحول دون إعطاء كلمة (تواجَدَ) المعنى الذي يريده المعاصرون، **فمَثَلُها مَثَلُ: (تكاثَرَ) و(تناسَل)**[3].

شمائل الفقيد ومزاجه:

خَبِرْتُ الفقيد خلال عدد من السنوات، بمجاورتي له في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغة العربية، فما عرفت عنه إلا رقّة الشمائل، مع اقتصاد في المجاملات المتعارَف عليها بين الزملاء. كان رحمه الله، **عفّ اللسان، صافي السريرة**، يقول ما يعتقد، دون محاباة أو مواربة، أو يَصْمت. لم أسمع منه يوماً كلمة نابية ولو بحق إنسان فيه انحراف أو عنده زيغ.

---

(1) انظر المصدر السابق.

(2) انظر المصدر السابق.

(3) انظر المصدر السابق.

كان **خجولاً**، لا يجلس إلا جنبَ من يأنس إليه، ولا يتطفّل على مكان شاغر بين الناس إذا لم يُدْعَ إليه؛ كان هادئ الأعصاب، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها إذا ما أُثيرت، مع كثرة المنغّصات.

لم أشعر يوما بِكُرْهٍ يُضْمِره نحو أحد، ولو كان ممن يُكثر الغَمز واللَّمز من النحو أو النحاة؛ وكثيراً ما سمعته يردد جملة **(هداه الله)**.

كان الفقيد، إذا ما استقَرّ به المقام، نَثَرَ دفاتره وأوراقه أمامه، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لِتُذَكِّره بالمواضع التي عليه أن يتَنَبَّه لموعد عرضها، فيبدي اعتراضه عليها أو نقده لها، أو دفاعه عن سلامتها؛ وكانت الدفاتر تُسْعِفُهُ بالأدلّة التي يستند إليها وبالمصادر التي يعتمدها، **وحتى بأرقام الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعها ومكانه.**

كان الفقيد يسند كوع يسراه على المنضدة، وكَفُّه مفتوحة تشير دائماً إلى أن صاحبها يطلب الكلام، بينما تكون يمناه تعبث بالأوراق المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله المناقشات. وهو يحاول أن لا تفوته كلمة ممّا يدور، وكثيراً ما فاته الإذن بالكلام وهو راغب فيه، فكان يتردد في الإصرار على طلبه، وبخاصة عندما يشعر برغبة الأكثرية في إمضاء الأمر المطروح على التصويت، إلا إذا كان الأمر مما لا يصحّ سكوته عليه، **فكان يرفع يمناه إلى أقصى ما يستطيع لينال الإذن بالكلام**؛ وأحياناً كان لا يتأخر عن الوقوف ليعلن أنه يريد الكلام، حتى إذا ما أعطيه، كان جريئاً في الدفاع عما يعتقد صوابه، شديداً في مهاجمة ما سمعه أو ما يراد إقراره، مبيّناً وجه الصواب المتَّفِق مع النصوص، تالياً لها أو مشيراً إلى موضعها.

كان الفقيد يحاول أن لا يَرُدّ على زميل من غير المصريين لا يعرفه، **قبل أن يميل نحوي سائلاً عن هوية المتكلّم ومشربه**، كي لا يتعدّى حدود الموضوع إلى البواعث الخفيّة.

كان وطيسُ المناقشات يَحْمَى في كثير من الجلسات؛ فإذا رغب فقيدنا في الكلام **انتظر الإذن ليبدأه. ولم أره مرّة يقاطع متكلّماً**، على كثرة الذين كانوا

يقاطعونه، حتى إذا أنهى الرأي الذي يريد إبداءه أو تسجيله في محضر الجلسة لتقرأه الأجيال الناشئة، استراح غير عابئ بصدى كلامه عند سامعيه، وغير مهتمّ برأي منكِرٍ أو مستَهْجِن.

كان، رحمه الله، كثيراً ما يغضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه، أو عن التقلّصات التي تعلو وجوه بعضٍ آخر، غير ملتفت إلى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الأيدي، **وفيها البيت أو البيتان من روائع "شعر البدائة" غمزاً** بالنحو والنحويين. وإن أَنْسَ لا أَنْسَ يوماً وقَعَتْ بيده إحدى تلك الوريقات، فإذا به يبتسم متوجّهاً نحو مصدرها وهو يقول: **رائع .. ولكن** لو كان (كذا) بدل (كذا) **لكان القول أبلغ**.

كما أني لا أنسى يوما قرأتُ فيه قطعة أدبية صَنَعَها **المرحوم محمد كامل حسين، صاحب "النحو المعقول"**[1]، فيها تَهَكُّمٌ على النحويين وسخرية بآرائهم وتعقيداتهم؛ ثم علمت بأن عباساً، تغمده الله بالرحمة والرضوان، سبق أن اطّلع عليها، ولكنه لم يخرج عن قوله: **"سامَحَه الله"**.

كان فقيدنا، رحمه الله، يُحَلِّق في أجوائه منفرداً؛ كانَ أُمَّة وحده. أجزل الله ثوابه، وعوَّض العربية خيراً.

دمشق في 1979/4/5.

د. عدنان الخطيب

---

(1) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (1901–1977) كان أحد عباقرة العلم والأدب والنقد، وكان جرّاحاً ماهراً وفيلسوفاً أديباً، وناقداً يؤمن بالعلم والحقيقة، وكان يكره أساليب النحويين القديمة وتعليلاتهم، له، فضلاً عن كتابه "النحو المعقول"، مؤلفات قيّمة من أهمها: "قرية ظالمة" و"التفسير البيولوجي للتاريخ" و "الوادي المقدس" و"الذكر الحكيم" و"وحدة المعرفة" و"متنوعات".